سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي (19)

ديوان القاضي عياض

عياض بن موسى اليحصبي السبتي

(ت 544 هـ)

بسم الله الرحمان الرحيم

قال رحمه الله

في كلِ فاتحةٍ للقولِ مُعتَبَرَة ... حقُ الثناءِ على المبعوثِ بالبقرة

في آلِ عمرانَ قُدماً شاعَ مَبعثُه ... رجالُهم والنساء استوضحوا خبَرَه

قد مدّ للناسِ من نعماءٍ مائدة ... عمتْ فليستْ على الأنعامِ مُقتصره

أعرافُ رحماهُ ما حلّ الرجاءُ بها ... إلا وأنفالُ ذاكَ الجود مُبتدره

به توسلَ إذ نادى بتوبتهِ ... في البحرِ يونسَ والظلماءُ معتكره

هود ويوسف كم خوفٍ به أمِنا ... ولن يروّعَ صوتُ الرعدِ مَنْ ذكره

مضمونُ دعوةِ إبراهيمَ كانَ وفي ... بيتِ الإلهِ وفي الحِجْرِ التمسْ أثَرَه

ذو أمةٍ كدويِّ النحلِ ذكرُهم ... في كلِّ قطرٍ فسبحانَ الذي فطَرَه

بكهفِ رحماهُ قدْ لاذَ الورى وبه ... بشرى ابنِ مريمَ في الإنجيلِ مشتهرَه

سماهُ طه وحضّ الأنبياءَ على ... حجّ المكانِ الذي مِنْ أجلِه عَمَرَه

قدْ أفلحَ الناسُ بالنورِ الذي شهدوا ... مِنْ نورِ فُرقانِهِ لمّا جلا غررَه

أكابرُ الشعراءِ اللُسنِ قدْ خرِسُوا ... كالنملِ إذْ سمعتْ آذانُهمْ سُورَه

وحسبُهُ قصصٌ للعنكبوتِ أتى ... إذْ حاكَ نسجاً ببابِ الغارِ قدْ سَتَرَه

في الرّومِ قدْ شاعَ قدمًا أمرُهُ وبِهِ ... لقمانُ وُفّقَ للدرِّ الذي نثرَه

كمْ سجدةٍ في طُلا الأحزابِ قدْ سجدتْ ... سيوفُهُ فأراهُمْ ربُّهمْ عِبَرَه

سَباهُمُ فاطرُ السبعِ العُلى كرماً ... بِمَنْ بياسينَ بينَ الرُسلِ قَدْ شهرَه

في الحربِ قَدْ صفّتِ الأملاكُ تنصرُه ... فصادَ جمعَ الأعادي هازماً زُمَرَه

لِغافرِ الذنبِ في تفضيلِهِ سُوَرٌ ... قدْ فُصِّلَتْ لِمعانٍ غيرِ مُنحصِرَه

شُوراهُ أنْ تهجرَ الدُنيا فَزُخرُفُها ... مثلُ الدخانِ فيَغشى عينَ مَنْ نَظرَه

عَزّتْ شريعتُهُ البيضاءُ حينَ أتى ... أحقافَ بدرٍ وجندَ اللّهِ قدْ حضرَه

فجاءَ بعدَ القتالِ الفتحُ مُتصِلاً ... وأصبحتْ حُجراتُ الدينِ مُنتصِرَه

بقافٍ والذارياتِ اللهُ أقسمَ في ... إنّ الذي قالَهُ حقٌّ كما ذكرَه

في الطورِ أبصرَ موسى نجمَ سُؤددِهِ ... والأفقُ قدْ شُقّ إجلالاً لهُ قمرَه

أسرى فنالَ مِنَ الرحمنِ واقعةً ... في القُربِ ثبّتَ فيها ربُّهُ بصرَه

أراهُ أشياءَ لا يَقوى الحديدُ لها ... وفي مُجادلةِ الكُفّـارِ قدْ نصرَه

في الحشرِ يومَ امتحانِ الخلقِ يُقبِلُ في ... صفٍّ مِنَ الرُسلِ كُلٌّ تابعٌ أثرَه

كفٌّ يُسبحُ للهِ الحصاةُ بها ... فاقبلْ إذا جاءكَ الحقُ الذي قدرَه

قدْ أبصرتْ عندهُ الدُنيا تَغابُنَهَا ... نَالتْ طلاقاً ولمْ يَصرفْ لها نَظرَه

تحريمُهُ الحبّ للدُنيا ورغبتُهُ ... عنْ زهرةِ المُلكِ حقٌ عِندما ذَكرَه

في نونَ قدْ حققتِ الأمداحُ فيهِ بِمَا ... أثنى بِهِ اللهُ إذْ أبدَى لَنَـا سِيرَه

بجاهِهِ سالَ نوحٌ في سفينتِهِ ... حسنَ النجاةِ وموجُ البحرِ قدْ غَمرَه

وقالتِ الجنُّ جاءَ الحقُ فاتبِعُوا ... مُزملًا تَـابِعًا للحقِ لَنْ يَذرَه

مُدثراً شافعاً يومَ القيامةِ هلْ ... أتى نبيٌّ لَهُ هذا العُلى ذَخَرَه

في المرسلاتِ مِنَ الكُتُبِ انجلى نَبَأٌ ... عَنْ بَعثِهِ سَائرُ الأحبَـارِ قدْ سَطَرَه

ألطافُهُ النازعاتُ الضيمَ حسبُكَ في ... يومٌ بِهِ عبسَ العاصي لِما ذَعَرَه

إذْ كُوِّرتْ شمسُ ذاكَ اليومِ وانفطَرتْ ... سماؤُهُ ودَعتْ ويلٌ بِهِ الفَجَرَه

ولِلسماءِ انشقاقٌ والبروجُ خلَتْ ... مِنْ طارقِ الشُّهبِ والأفلاكُ مُنتَشِرَه

فَسبحْ اسمَ الذي في الخلقِ شفّعَهُ ... وَهلْ أتاكَ حديثُ الحوضِ إذْ نَهَرَه

كالفجرِ في البلدِ المحروسِ غرّتُهُ ... والشمسُ مِنْ نُورِهِ الوضّاحِ مُختَصَرَه

والليلُ مثلُ الضُّحى إذْ لاحَ فيهِ ألمْ ... نَشرحْ لكَ القُولَ في أخبارِهِ العَطِرَة

ولو دَعا التينَ والزيتونَ لابتَدرا ... إليهِ في الحِينِ واقرأْ تستَبِنْ خبَرَه

في لَيلةِ القَدرِ كمْ قدْ حَازَ مِنْ شرَفٍ ... في الفَخرِ لَمْ يَكنِ الإنسانُ قدْ قَدرَه

كمْ زُلزِلَتْ بالجيادِ العادياتِ لهُ ... أرضٌ بِقَارعةِ التخويفِ مُنتَشِرَه

لهُ تَكاثُرُ آياتٍ قدْ اشتَهرَتْ ... في كُلِّ عصرٍ فويلٌ للذي كفَرَه

ألمْ تَرَ الشمسَ تصديقاً لهُ حُبِسَتْ ... على قُريشٍ وَجاءَ الروحُ إذْ أمَرَه

أرأيتَ أنّ إلهَ العرشِ كرّمَهُ ... بِكوثرٍ مُرسَلٍ في حَوضِهِ نهَرَه

والكافرونَ إذا جاءَ الورى طُرِدُوا ... عَنْ حَوضِهِ فَلَقَدْ تَبَّتْ يدا الكَفَرَة

أخلاصُ أمداحِهِ شُغلُ فَكَمْ فَلَقٌ ... لِلصُبحِ أسْمعتْ فيهِ النّاسَ مُفتَخِرَه

أزكى صلاتي على الهادي وعترتِهِ ... وصَحبِهِ وَخُصوصًا مِنهُمُ عَشَرَه

صِدّيقُهُمْ عُمرُ الفاروقِ أحزَمُهُمْ ... عُثمانُ ثُمّ عَليٌّ مُهلِكُ الكَفَرَه

سَعدٌ سَعيدٌ زُبيرٌ طَلحَة وأبو ... عبيدةَ وابنُ عَوفٍ عَاشرُ العَشَرَة

وحمزة ثُمّ عباس وآلُهما ... وجعفر وعقيل سادةٌ خِيَرَة

أولئكَ الناسُ آلُ المُصطفى وَكفى ... وصَحبُهُ المقتدونَ السادةُ البَرَرَة

وفي خديجةَ والزّهرا وما وَلدَتْ ... أزكى مَديحي شاهدي دائماً دُرَرَه

عَنْ كُلِّ أزواجِهِ أرضى وأوثِرُ مَنْ ... أضحَتْ براءَتُها في الذكرِ مُشتَهِرَه

أقسمتُ لا زِلتُ أهديهِمْ ثَنا مِدَحي ... كالرّوضِ يَنْشُرُ مِنْ أكمامِهِ زَهَرَه

وقال رحمه الله

تعصي الاله وأنت تظهر حبه هذا محال في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

وقال أيضا:

تقاعد عن الأسفار إن كنت طالبا نجاة ففي الأسفار سبع عوائق

تشوق إخوان, وفقد أحبة وأعظمها، يا صاح، سكنى الفنادق

وكثرة إيحاش، وقلة مؤنس وتبذير أموال وخيفة سارق

فإن قيل في الأسفار كسب معيشة وعلم وآداب وصحبة وامق

فقل: كان ذا دهرا تقادم عصره وأعقبه دهر شديد المضايق

فهذا مقالي والسلام كما بدا وجرب ففي التجريب علم الحقائق

ولـه رحمه الله

لمحبرة تجالسني نهارا أحب إلي من أنس الصديق

ورزمة كاغد في البيت عندي أحب إلي من حمل الدقيق

ولطمة عالم في الخد مني أحب إلي من كأس الرحيق

ومن شعره في موطأ مالك

إذا ذكرت كتب العلم فخيرها ... كتاب الموطأ من تصانيف مالك

أصح أحاديثاً وأثبت سنة ... وأوضحها في الفقه نهجاً لسالك

أسانيد أمثال الرواسي صحيحة ... ورأي كأنوار النجوم الشوابك

هو الحجة الغراء والعصمة التي ... ينجي هداها من جميع المهالك

به يهتدى في كل أمر ويقتدى ... وفيه جلاء المشكلات الحوالك

عليه مضى الإجماع في كل أمة ... على رغم خيشوم الحسود المهالك

وأول تصنيف تهذب فاغتدى ... يعلم كلاً نهج تلك المسالك

بتأليف أشكال وحسن عبارة ... وإتقان ترتيب لتلك المدارك

فجاء كما جاء الوشام منظماً ... وخلص محض التبر تخليص سابك

فعنه فخذ علم الديانة خالصاً ... ومنه استفد علم النبي المبارك

وشد به كف الضنانة تحتوي ... فمن حاد عنه هالك في المهالك

ومن نظمه رحمه الله

لإتيان مال مال كل مؤمل   ولكنها سبل صعاب المسالك

كذلك جنات النعيم ودونها   صراط وكم ناج هناك وهالك

وقال رضي الله عنه وأرضاه

هذا الذي وخدت شوقا له الإبل هذا الحبيب الذي مامنه لي بدل

هذا الذي ما رأت عين ولا سمعت أذن بأكرم من كفيه إن سألوا

هذا الذي جاءت التوراة شاهدة بأنه خير من يحفى وينتعل

هذا الذي جاء في الإنجيل مبعثه يتلوه من قبل ذا رهبانه الأول

هذا الذي هتفت من قبل مولده به الهواتف، واشتاقت له المقل

هذا الذي جاءت الأخبار واتفقت قدما على بعثه الأحبار والملل

هذا الذي كان من سيف بن ذي يزن مع جده نبأ من بعثه جلل

هذا الذي جاء عن "شق" له خبر وعن "سطيح" حديث منه ينتقل

هذا محمد الماحي واحمدهم هذا أبو القاسم "الماحي" إذا جهلوا

هذا الذي في قريش قد سما نسبا أبا، وأما، فمعنى المجد مكتمل

هذا الذي مجده من عهد ءادم لم يشنه شين، ولا في أصله دخل

هذا الذي كرمت آباؤه وعلت عن السفاح فنظم المجد متصل

هذا هو ابن ذبيح الله وابن خلي ل الله: تلك خلال ما بها خلل

هذا هو ابن الذبيحين اللذين هما اوفى وأصبر من يبلى ويحتمل

هذا الذي أشرف الأعمام من مضر أعمامه كم وفوا خطبا وكم بذلوا

هذا الذي زهرة الأخيار كلهمو أخواله بعلاهم يضرب المثل

هذا الذي كان عبد الله والده اوفى البرية: إن قالوا وإن فعلوا

هذا ابن شيبة: المشهور عندهمو بشيبة الحمد ساقي الركب، إن محلوا

هذا ابن هاشم: الساقي الحجيج ندى وهاشم الزاد للأضياف إن نزلوا

هذا ابن عبد مناف خير من نزلت به الوفود، فلا بخل ولا ملل

هذا هو ابن قصي، سيد جمعت به قريش، فعاد الود واتصلوا

هذا ابن حامي الذمار، المستجار به كلاب: الفارس المقدام إن وجلوا

هذا ابن مرة: الحلو الندى كرما والمر بأسا، ونار الحرب تشتعل

هذا ابن كعب، وما أدراك من رجل ماضي العزيمة: لا عجز ولا كسل

هذا هو ابن لؤي، كم لواء علا أعلى بما يقتضيه البيض والأسل

هذا ابن غالب: المغلوب حاسده والواهب السالب الآساد ما حملوا

هذا ابن فهر، وفهر لانظير له ليث منازل بدرع البأس مشتمل

هذا ابن مالك المخضل نائله والجو عبر وما في غيمه نهل

هذا الذي قد سمت للنضر نسبته إلى كنانة منه المجد يتصل

هذا الذي نال مجدا من خزيمة عن أبيه، مدركة الوافي إذا مطلوا

هذا ابن إلياس، ساقي القوم إن عطشوا والمشبع الوفد، والمعطون قد بخلوا

هذا الذي أحرز العلياء من مضر وفي نزار نمت أغصانه الذلل

هذا الذي لمعد قد علا وإلى عدنان في المجد يسمو فرعه الخضل

هذا ابن أكرم آباء سموا وإلى هنا اتفاقا به النساب قد وصلوا

هذا الذي أمه خير النساء فلم يظفر بأكرم منها في الورى وجل

هذا ابن آمنة الميمون طائرها آباؤها غررا للدهر قد جعلوا

وهب بن عبد مناف كان والدها بزهرة بن كلاب بعد يتصل

هذا الذي لم تجد في وضعه تعبا أم له، لا ولا في حمله ثقل

هذا الذي قد بدا، مع أمه، معه نور إلى الشام من أم القرى يصل

هذا الذي ظهرت في يوم مولده أشياء أصبح منها الناس قد ذهلوا

هذا الذي خمدت نيران فارس من أنواره، وولاة الناس ما غفلوا

هذا الذي كسرت كسرى مهابته حتى تبين في إيوائه الميل

هذا الذي أمرت من أجل مبعثه شهب السماء برجم الجن فانذهلوا

هذا الذي من بني سعد رضاعته فأصبح اليمن فيهم ليس يرتحل

هذا الذي شهدت عجبا حليمة في رضاعه، فغدت والخير مقتبل

هذا الذي فاض درا ثديها كرما له وقد كان يبسا ما به علل

هذا الذي ، حال الجدب، شارفها   من أجله، فغدوا والكل قد نهلوا

هذا الذي عندما سارت به جفلت   أتانها تسبق الركبان إن جفلوا

هذا الذي قلبه جبريل طهره   إن شق صدرا....

وله رحمه الله في الظريف الغزلي والنسيب

يا راحلين تحملوا أيرى لكم قبل الممات قفول؟

أما الفؤاد فعندكم أنباؤه ولواعج تنتابه وغليل

أترى لكم علم بمنتزح الكرى عن جفن صب ليله موصول؟

أودى بعزمة صبره وإبائه طرف أحم ومبسم مصقول

ما ضركم في ضنكم بتحية يحيي بها عند الوداع قتيل؟

إن البخيل بلحظة أو لفظة أو عطفة أو وقفة لبخيل

وله رحمه الله

إليك مددت الكف أستمطر الفضلا   وأستكشف البلوى وأستعطف الطولا

دعوتك مضطرا فعجل إجابتي   بتفريج كرب طالما وصل الهولا

عليك اعتمادي في جميع مقاصدي   إليك رفعت الأمر والقول والفعلا

وأنت ملاذي، يا مرادي وسيدي   فسامح مسيئا، قد جنى الجد والهزلا

نداء من الأعماق: يا فالق النوى   ويا سامع النجوى ويا من هو الأعلى

يتيم من الطاعات عفوك يرتجي   قه الفقر، والإفلاس، والفقد والذلا

إلهي، لك الشكوى بقوم تسربلوا   رداء من البلوى أذاعوا به الويلا

سألتك بالمختار ....

بجاه رسول الله فارحم تضرعي   ونفس همومي كلها: الفرع والأصلا

لجأت إلى باب الكريم لفاقتي   فليس لنا مغن سواه ولا مولى

كئيبا، غريبا، بافتقار وضيعة   ذليلا حقيرا، أهمل الفرض والنفلا

فأنزل عليهم من علاك صواعقا   تصير مدى الأعمار أخبارها تتلى

وصل على قطب الوجود محمد   صلاة تعم الرسل، والصحب والأهلا

وسلم عليهم، وارض عنهم وجازهم   عنا وعن الإسلام ما هم به أولى

وقال رحمه الله

أولياء الإله إني مريض والدواء لديكم والشفاء

فانظروا لي بفضلكم في علاجي وامنحوني بفضلكم ما أشاء

كم أرى في حماكمو من سقيم زال عنه سقم به والشفاء

كم أعنتم على الدواء مريضا في فراش، وقد كفاه النداء

أنتم الباب والإله كريم من أتاكم له الغني والهناء

وقال رحمه الله

أذات الخال كم ذا تنتضينا   علي سيوف عينيك انتضاء

بمطلك لي مواعد أقتضيها   من التوريد واللعس اقتضاء

فقضي وعد مطلك، أنجزيه   خيار الناس احسنهم قضاء

وقال رحمه الله

إليك بؤت بذنبي فاغفر خطاياي ربي

وامنن علي بلطف تجبر به صدع قلبي

فقد ركبت ذنوبا سودت منهن كتبي

وطال تقصير سعيي في كل فرض وندب

وقد أسأت فأحسن فلم تزل محسنا بي

وجئت أطلب توبا إذ ضاق بالذنب رحبي

فاقبل بفضلك توبي واغفر برحماك ذنبي

وعافني واعف عني فأنت يا رب حسبي

وقال رحمه الله

يَا طَالِبَ الْعِلْمِ اسْتَمِعْ قَوْلَ امْرِئٍ ... مَحْضَ النَّصِيحَةِ لِلْمُرِيدِ الرَّاغِبِ

الْعِلْمُ فِي أَصْلَيْنِ لَا يَعْدُوهُمَا ... إِلَّا الْمُضِلُّ عَنِ الطَّرِيقِ اللَّاحِبِ

عِلْمُ الْكِتَابِ وَعِلْمُ الْآثَارِ الَّتِي ... قَدْ أُسْنِدَتْ عَنْ تَابِعٍ عَنْ صَاحِبِ

جَاءَتْ بِهَا الْأَثْبَاتُ عَنْهُمْ وَاعْتَنَتْ ... بِمَسَانِدٍ وَمَرَاسِلٍ وَغَرَائِبِ

حَتَّى نَفَتْ طَعْنَ الْغَوِيِّ وَمَيَّزَتْ ... خَطَأَ الْغَبِيِّ وَزُورَ وَضْعِ الْكَاذِبِ

فَأَتَتْ كَمَا انْتَظَمَ الْوِشَاحُ وَثُقِّفَتْ ... سُمْرُ الرِّمَاحِ وَلَاحَ ضَوْءُ الثَّاقِبِ

لَوْلَا رِوَايَتُهُمْ لَمَا اتَّصَلَتْ بِنَا ... وَلَمَا عَلِمْنَا سُنَّةً مِنْ وَاجِبِ

مِنْهَا مَنَارُ الْفِقْهِ وَهِيَ دَلِيلُهُ ... وَالرَّأْيُ مَطْرُحٌ لَأَبْعَدِ جَانِبِ

فَاشْدُدْ عَلَيْهِ يَدَ الضَّنَانَةِ وَارْحَلَنْ ... لِسَمَاعِهِ بِمَشَارِقٍ وَمَغَارِبِ

وَانْوِ الْإِلَهَ بِهِ تَعِشْ فِي غِبْطَةٍ ... وَتَفُزْ بِعَدْنٍ فِي نَعِيمٍ دَائِبِ

وقال في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم

يَا دَارَ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ وَمَنْ بِهِ ... هُدِيَ الْأَنَامُ وَخُصَّ بِالْآيَاتِ

عِنْدِي لِأَجْلِكِ لَوْعَةٌ وَصَبَابَةٌ ... وَتَشَوُّقٌ مُتَوَقِّدُ الْجَمَرَاتِ

وَعَلَيَّ عَهْدٌ إِنْ مَلَأْتُ محاجرِي ... من تلكم الجدران وَالْعَرَصَاتِ

لَأُعَفِّرَنَّ مَصُونَ شَيْبِيَ بَيْنَهَا ... مِنْ كَثْرَةِ التَّقْبِيلِ وَالرَّشَفَاتِ

لَوْلَا الْعَوَادِي وَالْأَعَادِي زُرْتُهَا ... أَبَدًا وَلَوْ سَحْبًا عَلَى الْوَجَنَاتِ

لَكِنْ سَأُهْدِي مِنْ حفيل تحيتي ... لقطين تلك الدار والحجرات

أَزْكَى مِنَ الْمِسْكِ الْمُفَتَّقِ نَفْحَةً ... تَغْشَاهُ بِالْآصَالِ وَالْبُكُرَاتِ

وَتَخُصُّهُ بِزَوَاكِي الصَّلَوَاتِ ... وَنَوَامِيَ التَّسْلِيمِ وَالْبَرَكَاتِ

وروي ان المصنف رحمه الله لم يحج ولم يزره صلّى الله عليه وسلم فقال هذه ألابيات متحسرا.

وقال رضي الله عنه

أعوذ بربي من شر ما   يخاف من الناس والجنة

وأسأله رحمة تقتضي   عوارف توصل بالجنة

فما للخلائق عن ناره   سوى فضل رحماه من جنة

وقال رحمه الله

إذا ما نشرت بساط ابتساط ... فعنه فديتك فاطو المزاحا

فإنّ المزاح كما قد حكي ... أولو العلم قبل عن العلم زاحا

وله يخاطب صاحب "القلائد" عن كتابين كتبهما إليه معاتبا له

أبا النصران شدّوا رحالك للنوى ... فإنّ جميل الصبر عنك بها شدّوا

وأن تتركوا قلبي مقيما وترحلوا ... فماذا ترى في مهجة معكم تغدوا

وقال رحمه الله

خَيْرُ مَا يَقْتَنِي اللَّبِيبُ كِتَابٌ ... مُحْكَمُ النَّقْلِ مُتْقَنُ التَّقْيِيد

خَطُّهُ عَارِفٌ نَبِيلٌ وَعَانَاهُمْ ... فَصَحَّ التَّبْيِيضُ بِالتَّسْوِيد

لَمْ يَخُنْهُ إِتْقَانُ نَقْطٍ وَشَكْلٌ ... لَا وَلَا عَابَهُ لِحَاقُ الْمَزِيد

فَكَأَنَّ التَّخْرِيجَ فِي طُرَّتَيْهِ ... طُرَرٌ صُفِّفَتْ بِبِيضِ الْخُدُود

فَيُنَاجِيكَ شَخْصُهُ مِنْ قَرِيبٍ وَيُنَادِيكَ نَصُّهُ مِنْ بَعِيد

فَاصْحَبْنَهُ تَجِدْهُ خَيْرَ جَلِيسٍ ... وَاخْتَبِرْهُ تَجِدْهُ أُنْسَ الْمُرِيد

وقال رحمه الله

ياعين، هذا السيد الأكبر وهذه الروضة والمنبر

فشاهدي في حرم المصطفى من نوره الساطع ما يبهر

ياعين، ذا ما كنت تبغيه فما لأجفانك لا تمطر؟

هذا مقام المجتبى أحمد فمثله الأعين لا تنظر

وأي فهم فيه لا ينجلي؟ وأي كسر فيه لا يجبر؟

ودت نجوم الأفق لو أنها كانت قناديل به تزهر

ما كان أهنا مهجتي لو غدت موطوءة فيه لمن يخطر

كل مقام قد سما قدره في هذه الحضرة مستصغر

تجمع الفضل بها والندى والجود والسؤدد والمتجر

إلى ثراها الزعفران انتمى ومن شذاها المسك والعنبر

قد حسدتها سدرة المنتهى لما حوت والفلك والأنور

والكعبة الغراء والمنحنى والحجر، والأستار، والمشعر،

فاستبشري يا مقلتي باللقا فمن رأى الأحباب يستبشر

قد ذهب الهم، وزال العنا وكل ما يخشى وما يحذر

وخص بالنعمى، وحاز الرضى   وأرغمت حساده الحكر

باسمك يا رب قرنت اسمه   فإنه يذكر إذ تذكر

صفاته العلياء، كل الورى   عن حصرها، والقطر لا يحصر

من خصه الله، تعالى اسمه،   بقوله: "فاصدع بما تؤمر"

بدر دجى، أصحابه أنجم   بحر ندى، أنمله أبحر

يا من له جاه عظيم، ومن   له لواء الحمد والكوثر

يا أرفع الخلق مقاما، ويا   أجل من ينهى، ومن يأمر

يا رحمة الله، ويا شافعا   والناس في حشرهم حير

ذخيرتي حبك يا مصطفى   فإنه أفضل ما يذخر

فبالحشا داء مقيم ولا   يشفيه إلا من به أخبر

قد عجزت عن طبه قدرتي   رفعت شكواي لمن يقدر

وقد توسلت إلى الله في   شفاء داء بك، يامنذر

فاشفع، فإني بك مستشفع   وانصر، فإني بك مستنصر

وارحم فإني بك مسترحم   واجبر، فإني بك مستجبر

واعطف على العبد المسيء الذي   أتى لإحسانه يستمطر

يرجو ندى رحماك يا ذا العلا   في موقف أهواله تذعر

فلا تخيب فيك تأميله   فأنت فيه الشافع الأكبر

يا رب، يا الله، يا سيدي   ويا عليم الغيب مستتر

إن لم تداركني بلطف فيا   خسري، ويا خيبة من يخسر

فلي ذنوب أثقلت كاهلي   إن لم تكن تغفر، من يغفر؟

يا مستجيبا دعوة المبتلى   ودعوة المضطر إذ يجأر

فأنت قلت: استغفروا ربكم   وإنني جئتك أستغفر

وصل، يارب، على المصطفى   وآله ما جادت الأبحر

وصحبه والتابعين الألى   لهم بإحسان متى يذكر

ما هام صب، أوهمى عارض   وسار ركب ، أو سرى عسكر

ولـه رحمه الله

قف بالركاب فهذا الربع والدار لاحت علينا من الأحباب أنوار

بشراك بشراك قد لاحت قبابهم فانزل لقد نلت ما تهوى وتختار

هذا المحصب، هذا الخيف خيف منى هذي منازلهم، هذي هي الدار

هذي قباب قبا آثار وطئهمو وذا هو الجزع، فابك، ذا هو الغار

هذا النبي الحجازي الذي شهدت له بتقديمه في الرسل أخبار

هذا الحبيب الذي أسري لخالقه ليلا، وقد ضربت بالليل أستار

هذا الرسول الذي من أجله شهدت لنا على غيرنا فضل وآثار

هذا الشريف الذي سادت به مضر هذا الذي تربه كالمسك معطار

هذا الشفيع الذي ترجي شفاعته لمذنبين إذا ما اسودت النار

بادر وسلم على انوار روضته قبل الممات فلا تشغلك أعذار

إن لم تعاين ثراه العين يا أسفي أو لم تزره، فإن الشوق زوار

يا أهل طيبة لي في ربعكم قمر بر عطوف لفعل الخير أمار

قد أثقلتني ذنوب عنك مؤلمة أخاف تحرقني من أجلها النار

يا خيرة الرسل، يا أعلى الورى شرفا قد أثقل الظهر آثام وأوزار

فكن شفيعي لما قدمت من زلل   ومن خطايا، فإن الرب غفار

صلى عليك إله العرش ما سجعت   ورق وما نفحت في الروض أزهار

وآله وعلى أصحابه السعدا   ما لاح نجم وما إنهل مدرار

ولـه في مدح المصطفى عليه الصلاة والسلام هذه القصيدة

وهي مرتبة على سور القرآن

في كل "فاتحة" للقول معتبرة حق الثناء على المبعوث "بالبقرة"

في "آل عمران" قدما شاع مبعثه رجالهم و"النساء" استوضحوا خبره

قد مد للناس من نعماه "مائدة" عمت فليست على "الأنعام" مقتصرة

"أعراف" رحماه ما حل الرجاء بها إلا "وأنفال" ذاك الجود مبتدره

به توسل إذ نادى بتوبته في البحر يونس والظلماء معتكره

"هود" و"يوسف" كم خوف به أمنا ولن يروع صوت "الرعد" من ذكره

مضمون دعوة "إبراهيم" كان وفي بيت الإله وفي "الحجر" التمس أثره

دوامة كدوي "النحل" ذكرهمو في كل قطر "فسبحان" الذي قطره

"بكهف" رحماه قد لاذ الورى، وبه بشرى ابن مريم في الانجيل مشتهرة

سماه "طه" وحض "الأنبياء" على "حج" المكان الذي من أجله عمره

"قد أفلح" الناس "بالنور" الذي شهدوا من نور فرقانه لما جلا غرره

أكابر "الشعراء" اللسن قد خرسوا كـ"النمل" إذ سمعت آذانهم سوره

وحسبه "قصص" "للعنكبوت" أتى إذ حاك نسجا بباب الغار قد ستره

في "الروم" قد شاع قدما أمره، وبه "لقمان" وفق للدر الذي نثره

كم سجدة في طلى "الأحزاب" قد سجلت سيوفه فأراهم ربه عبره

"سبا" همو "فاطر" السبع العلى كرما لمن أحب "ياسين" بين الرسل قد شهره

في الحرب قد "صفت" الأملاك تنصره في "صاد" جمع الأعادي هازما "زمره"

"لغافر" الذنب في تفضيله سور قد "فصلت" لمعان غير منحصره

"شوارة" أن تهجر الدنيا "فزخرفها" مثل "الدخان" فيعشي عين من نظره

عزت "شريعته" البيضاء حين أتى "أحقاف" بدر وجند الله قد حضره

فجاء بعد "القتال" "الفتح" متصلا وأصبحت "حجرات" الدين منتصره

"بقاف" و"الذاريات" الله أقسم في أن الذي قاله حق كما ذكره

في "الطور" أبصر موسى "نجم" سؤدده والأفق قد شق إجلالا له "قمره"

أسرى فنال من "الرحمن" "واقعة" في القرب ثبت فيها ربه بصره

أراه أشياء لايقوى "الحديد" لها وفي "المجادلة" الكفار قد نصره

في "الحشر" يوم "امتحان" الخلق يقبل في "صف" من الرسل كل تابع أثره

كف "يسبح لله" الحصاة بها فاقبل "إذا جاءك" الحق الذي قدره

قد أبصرت عنده الدنيا "تغابنها" نالت "طلاقا" ولم يصرف لها نظره

"تحريمه" الحب للدنيا ورغبته عن زهرة "الملك" حق عندما ذكره

في "نون" قد "حقت" الأمداح فيه بما   أثنى به الله إذ أبدى لنا سيره

بجاهه "سال" "نوح" في سفينته   حسن النجاة وموج البحر قد عمره

وقالت "الجن" جاء الحق فاتبعوا   "مزملا" تابعا للحق لن يذره

"مدثرا" شافعا يوم "القيامة" "هل   أتي" نبي له هذا العلا ذخره

في "المرسلات" من الكتب انجلى "نبأ"   عن بعثه، سائر الأخبار قد سطره

ألطافه "النازعات" الضيم حسبك في   يوم به "عبس" العاصي لما ذعره

إذ "كورت" شمس ذاك اليوم و"انفطرت"   سماؤه ودعت "ويل" به الفجره

وللمساء "انشقاق" و"البروج" خلت   من "طارق" الشهب والأملاك منتشره

"فسبح اسم" الذي في الخلق شفعه   "وهل أتاك حديث" الحوض إذ نهره

"كالفجر" في "البلد" المحروس غرته   "والشمس" من نوره الوضاح مختصره

"والليل" مثل الضحى إذ لاح فيه ألم   نشرح لك القول في أخباره العطره

ولو دعا "التين" والزيتون لابتدرا   إليه في الحين و"اقرا" تستبين خبره

في ليلة "القدر" كم قد حاز من شرف   في الفجر "لم يكن" الإنسان قد قدره

كم "زلزلت" بالجياد "العاديات" له   أرض "بقارعة" التخويف منتشره

له "تكاثر" آيات قد اشتهرت   في كل "عصر" "فويل" للذي كفره

"ألم تر" الشمس تصديقا له حبست   على "قريش" وجاء الروح إذ أمره

"أرأيت" أن إله العرش كرمه   "بكوثر" مرسل في حوضه نهره

"والكافرون" "إذا جاء" الورى طردوا   عن حوضه فلقد "تبت يدا" الكفره

"إخلاص" أمداحه شغلي فكم "فلق"   للصبح أسمعت فيه "الناس" مفتخره

أزكي صلاتي على الهادي وعترته   وصحبه وخصوصا منهم عشره

صديقهم، عمر الفاروق أحزمهم،   عثمان ثم علي مهلك الكفره

سعد، سعيد، زبير، طلحة، وأبو   عبيدة وابن عوف عاشر العشره

وحمزة، ثم عباس وآلهما   وجعفر وعقيل سادة خيره

أولئك الناس آل المصطفى وكفى   وصحبه المقتدون السادة البرره

وفي خديجة والزهرا وما ولدت   أزكى مديحي سأهدي دائما درره

عن كل أزواجه أرضى وأوثر من   أضحت براءتها في الذكر مشتهره

أقسمت لازلت أهديهم شذا مدحي   كالروض ينشر من أكمامه زهره

ومن نظمه رحمه الله يعتذر لعرض عرض له

عسى تعرف العلياء ذنبي إلى الدهرِ ... فأبدي له جهد اعترافي أو عذري

وقد حال ما بيني وبين أحبّة ... ألفتهم ألف الخمائل للقطرِ

همُ أودعوا قلبي تباريح لوعة ... فنأيهم أذكى وأنكى من الجمرِ

على أنّ لي سلوى بانّ فراقهم ... وأن طال لم يمزج بصدّ ولا هجرِ

سأفزع للريح الشمال لعلّني ... أحمّلها نجوى تلجلج في صدري

تبلّغ منها للوزير تحيّة ... معطّرة الأرجاء دائمة البشرِ

تظلله من حرّ كلّ هجيرة ... وتونسه في وحشة البلد القفرِ

وتنبئه أنّي أكنّ صبابه ... لحسن بدا في غير شعر ولا شعرِ

أهزّ بها عطفيّ من غير نشوة ... وأرخي بها ذيلا من التيه والكبرِ

وأنّي أشدو في النوادي بذكره ... كما شدت الورقاء في الغصن النضرِ

أجل وعساها أن تبلّغ مهجتي ... فأبلي بها عذري وأقضي بها نذري

وله أيضا

ليهن العلى أن زفت الشمس للبدر   وحلي جيد الملك بالأنجم الزهر

وقرت عيون المجد أية قرة   بيوم تعالى أن يكون من الدهر

لدن ساعة أفضت إلى كل بغية   كما اعتلق الغواص بالدرة البكر

قران كلا السعدين فيه تلاقيا   كما يلتقي في المقلة الشفر بالشفر

لتجر المنى في حلبتيه مغذة   فحق لها في مثل ذلك أن تجري

بسعد أمير المومنين تطلعت   أساريره تندى بمائية البشر

ونرجو لنجل الملك حظا ممتعا   بعز إلى عز، وقدر إلى قدر

تمر بها الأيام ثم تردها   على بدئها ما فيه من كرم البر

وقال رحمه الله

سمح الزمان بليلة   غراء جامعة السرور

أجنت أكف جنانها   قطف الأماني والحبور

ما فض طين ختامها   فيما تقدم من دهور

دارت على فلك السعو   د بمثل أشباه البدور

من كل ما ملأت مها   بته العيون أو الصدور

ما إن ترى إلا امي   را حاز إرثا عن أمير

تخذوا القلوب أسرة   وثووا بها عوض السرير

فعليهموا وقف العلا   ء وإن تدوولت الأمور

وقال رحمه الله

لكِ الخير عندي لذاكِ النزاعِ ... عقلٌ يهيم وقلبٌ يراعُ

يعزّ علينا تنأي الديار ... وذاكِ سلامكِ لي والوداعُ

لكم أملٍ لي في اللقاء ... وأمنية قد طواها الزماعُ

فلم أجد منها سوى حسرة ... فوجدٌ جميعٌ وانس شعاعٌ

لئن حمّل القلب ما لا يطاق ... فما كلّف الجفن لا يستطاعُ

وله يرد على من أنكر مبالغته في محبته للشفا

فقالوا: نراك تحب الشفا وتخبر فيه عن المصطفى

فقلت: لأني عليل الفؤاد وكل عليل يحب الشفا

وقال رحمه الله يخاطب ابا طاهر أحمد بن محمد السلفي الاصبهاني

أبا طاهر خذها على البعد والنوى   تحية مرتاح لذكراك شيق

طوى لك مابين الضلوع مودة   يشف صفاء كالزلال المروق

يناجيك بالذكرى فيشفي غليله   ويخلص بالود الصحيح ويلتقي

أقمت عمود الدين والاثر الذي   سناه هدى للحق كل موفق

وطار لك الصيت البعيد فأرخت   مآثره مابين غرب ومشرق

فما من ثرى إلا بذكراك عاطر   ولا أفق إلا بنورك مشرق

بقيت لاسناد الحديث تقيمه   وللعلم تملي منه كل محقق

ولا زلت تحوي كل فضل وسؤدد   وتسمو بمعراج الجلال وترتقي

فأجابه الشيخ أبو طاهر بقوله

أتاني نظم الألمعي الموفق   يميس اختيالا بين غرب ومشرق

فطالعته مستبشرا فوجدته   نتيجة فهم في البلاغة مشرق

وأنشدته الاصحاب بعد تأمل   فلم يبق فيهم غير مطر ومطرق

فمطربهم مما رأى من فصاحة بلا كلفة فيها وغير تفيهق

ومطرقهم من حيرة وتعجب ومن دهش قد ناله وتقلق

وحق له هذا المحل علا على جرول في نظمه والفرزدق

وأضحى فريدا في الحديث وحفظه وقصر عنه كل فحل ومفلق

وفي الفقه من بعد الذي هو علمه فقد فاق أهل الافق قول محقق

وفاز بمجد ليس يرجو بلوغه مدى الدهر الاكل أحمق أخرق

توارثه من والد متقدم عن الجد قدم في الرئاسة معرق

أبا الفضل خذ بالفضل فيما بعثته وطالعه ثم انبذه عنك وشقق

فشعرك در والذي قد نظمته فمخشلب قولا بغير تملق

والا كمثل الا تحمي متانة وما صفته في الوهن مثل الخدرنق

وثق بوداد لا يزال مجددا يزيد على مر الزمان ويرتقي

ودرس لما قد حزته وحويته وغرس لغصن من ولائك مورق

فنحن وان لم يقض يا قاض بيننا لقاء فبالارواح ندنو ونلتقي

وجل اعتماد المرء في الود إنما عليه لما في ضمنه من توثق

فلا زلت تبقى في النعيم وظله على وفق ما تهوى وعز محقق

وتلقى الذي عادى علاك معذبا بطرد وتشريد وطول تفرق

فما ان يعادي عصبة الدين والهدى   سوى مارق أو ملحد متزندق

ولـه أيضا

يا خليلي فاحملا بعض قولي   للتي غادرت فؤادي عليلا

بلغا عني الثريا سلاما   واذكراني لها وقولا جميلا

خلت أني ملكتها وإذا بي   في يديها تخيلا مستحيلا

لست أنسى وكيف لي أنا أنسى   حين ألقى الدجى عليها السدولا؟

هل إلى نظرة سبيل فإني   لست أبغي إلا إليها سبيلا

ومما كتبه لبعض أصدقائه

إذا الأخلاء لم تحمل عيوبهمو   وخان ميثاقهم في البعد أو حلا

فلي بأغصان خل لا أذم له،   مدى الحياة وإن شطت نوى، حالا

ومما اشتهر من كلامه على طريق التورية

كأن كانون أهدى من ملابسه   لشهر تموز أنواعا من الحلل

أو الغزالة من طول المدى خرفت   فما تفرق بين الجدي والحمل

وكتب إلى الفقيه الأديب أبي الحسن بن زنباع، بعد أن بلغ عنه كلام ساءه رحمه الله

إلى كم وكم أشياء منكم تريبني أغمض عنها لست عنها بذي عمى؟

أحاذر أني إن أكافي عنها بمثلها تكون لأسباب القطيعة سلما

سأصبر حتى يبلغ الموت بي ولم أخنك ولو جرعتني الدهر علقما

وقال رحمه الله

رأت قمر السماء فأذكرتني ... ليالي وصلها بالرقمتين

كلانا ناظر قمراً ولكن ... رأيت بعينها ورأت بعيني

وقال رحمه الله

بشراك، قلبي، هذا سيد الأمم وهذه حضرة المختار في الحرم

وهذه الروضة الغراء ظاهرة وهذه القبة الخضراء كالعلم

ومنبر المصطفى الهادي، وحجرته وصحبه، والبقيع دائر بهم

فطب، وغب عن هموم كنت تعرفها، وسل تنل كل ما ترجوه من كرم

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي فالعبد ضيف، وضيف الله لم يضم

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي يا من لقاصده أمن من النقم

يا سيد الرسل يا من ضيف ساحته يبيت في الأمن في خير وفي نعم

يا أكرم الخلق من حاف ومنتعل يا أفضل الناس في ذات وفي شيم

يا أشرف الأنبيا، يا من شفاعته عمت على الخلق في الوجدان والعدم

أنا فقير إلي عفو ومرحمة وأنت أهل الرضى يا سيد الأمم

فقد أتيتك أرجو منك مكرمة وأنت أدرى بما في القلب من ألم

والحال يغني عن الشكوى إليك وقد عرفت حالي وإن لم أحكه بفم

فاشفع لعبدك، واجبر قلبه فلكم أودى به الكسر مما نال من جرم

يا أحمد، يا أبا بكر، يا عمر نزيلكم في أمان غير منهضم

وقد سعيت إلى أبواب حجرتكم سعيا على الرأس لا سعيا على القدم

أتى لأم القرى يرجو القرى كرما من سادة هم بحار الفضل والكرم

فإن قبلت فها إني بكم فرح في زورتي واغترابي وافر القسم

يا من أجل ملوك الأرض قاطبة في باب أفضلهم من أصغر الخدم

فهل عسى نظرة منكم لقاصدكم يغني بها عن جميع الخلق كلهم

محمد و"صحيباه" الذين بهم طبنا وغبنا عن الخسران والندم

ثلاثة بثلاث في الورى عرفوا بالعفو والفضل والوفاء للذمم

يا رب، يا رب، يا مولاي عبدك في باب الرجا يرتجي أمنا من النقم

ثم الصلاة على المختار من مضر خير البرية من عرب ومن عجم

محمد المصطفى والآل ثم على أصحابه ما سرى ركب لربعهم

وله هذه الأبيات التي قدم بها لرسالة كان قد طلب منه بعض أدباء عصره أن ينجزها

قل للأماجد والحديث شجون ما ضر أن شاب الوقار مجون

ولئن غدوت من العلوم بموضع تومي إلي أصابع وعيون

فلدي للآداب عين صبة فيها إلى ملح الظروف ركون

كنا افترقنا عند دعوى خطة ساءت بها فيما فهمت ظنون

فأتيت بالبرهان فيها نيرا وعدت عواد بعد ذا وشؤون

وبعثت الآن بها ليعلم أنني عين الزمان وسره المكنون

ومن شعره رحمه الله

يا سائلاً عن عميد الهدى والسنن ... أطلب هديت علوم الفقه والسنن

وعند قلبك فاشدده على ثلج ... لا تطوينه على شك ولا تحن

واسلك سبيل الألى حازوا تقى ونهى ... كانوا فبانوا حسان السر والعلن

هم الأئمة والأقطاب ما انخدعوا ... ولا شروا دينهم بالبخس والغبن

أصحاب خير الورى أخيار ملته ... خير القرون نجوم الدهر والزمن

من اهتدى بهداهم مهتد وهم ... نجاة من بعدهم من غمرة الفتن

وتابعوهم على الهدي القويم هم ... أهل النهى والتقى والعلم والفطن

واختر لدينك ذا علم تقلده ... مشهر الذكر في شام وفي يمن

حوى أصولهم ثم اقتفى أثراً ... نهجاً إلى كل معنى رائق حسن

ومالك المرتضى لا شك أفضلهم ... إمام دار الهدى والوحي والسنن

وعنه خذ علمهم إن كنت متبعاً ... ودع زخاريف كالأحلام في الوسن

فهو المقلد في الآثار يسندها ... خلاف من هو فيها غير مؤتمن

وهو المقدم في فقه وفي نظر ... والمقتدي بالهدى في ذلك الزمن

وعالم الأرض ضراب الذي حكمت ... شهادة المصطفى بالفضل والمنن

ومن إليه بأقطار البلاد غدت ... تقضي المطايا وتصبي يده البدن

من أشرف الخلق طراً حبه فجرى ... طي القلوب كجري الماء في الغصن

وقال كل لسان في فضائله ... قولاً وإن نحروا في الوصف عن لسن

عليه من ربه أضفى عوائده ... ومن رضاه كصوب العارض الهتن

وجاد ملحده وطفاء هاطلة ... تسقي لرحماه مثوى ذلك الجنن

ومن نظمه رحمه الله

أتراني؟ وما عسى أن تراني   آخذا مرة أمان الزمان

سلبتني صروفه كل علق   من شباب وصاحب وأمان

كلما حزت بغيتي بفلان   علقت كفه بذاك الفلان

عمرك الله هل سمعت بحي   لم ترعهم روائع الحدثان

كل يوم طليعة لفراق   ومن العجب أن ترى للتداني

فاسأل الشعريين عنهما وحسبي   شاهدا ما تقوله الشعريان

ودع الفرقدين إن جهلاها   فستدهي بأمرها الفرقدان

وقال رحمه اللّه

اللّه يعلم أنّي مُنذ لم أركم ... كطائرٍ خانه ريشُ الجناحيْنِ

فلو قدرتُ ركبتُ البحر نحوكُمُ ... فإنّ بُعدَكُم عنّي جَنَى حَيْنِي

ومن نظمه رحمه الله

وممّا زادني طربا وتيها وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك: "يا عبادي" وأن صيرت أحمد لي نبيا

وقال رحمه الله

يا صاحِبيّ فَدَتْ نفسي نفوسكما   وَحيثما كنتما لقيتما رشدا

إِنْ تَحملا حاجةً لي خفّ مَحملها   تَستوجبا منّة عندي بها وَيدا

أَنْ تقرآن على أسماء وَيحكما   منّي السَلام وَأَنْ لا تشعرا أَحدا

يا صاحِبيّ فَدَتْ نفسي نفوسكما   وَحيثما كنتما لقيتما رشدا

إِنْ تَحملا حاجةً لي خفّ مَحملها   تَستوجبا منّة عندي بها وَيدا

أَنْ تقرآن على أسماء وَيحكما   منّي السَلام وَأَنْ لا تشعرا أَحدا

وقال رحمه الله

انظر إلى الزرع وخاماته   تحكي وقد ماست أمام الرياح

كتيبة خضراء مهزومة   شقائق النعمان فيها جراح

وقال رحمه الله

بليوش جنّةٌ وَلَكِن طَرِيقها يقطع النياطا

كجنّةِ الخلد لَم يَجُزها إلّا الّذي جاوَز الصراطا

وقال رحمه الله

يا مَن تَحمّل عَنّي غير مُكتَرِث   لكنّه للضنى وَالسقم أوصى بي

تَركتني مستهام القَلب ذا حرقٍ   أَخا هوىً وَتَباريح وَأَوصابِ

أُراقب النجمَ في جنح الدُجى سهراً   كأنّني راصدٌ للنجم أَوصابي

وَما وجدت لَذيذ النوم بعدكُم   إلّا جَنى حنظل في الطَعم أَوصابِ

وقال رحمه الله

وَما شرق البلدان إِلّا رجالها وإِلّا فَلا فضل لترب عَلى ترب

وَما شرق البلدان إِلّا رجالها وإِلّا فَلا فضل لترب عَلى ترب

وقال رحمه الله

أَقمرّيّة الأدواح بِاللَه طارِحي   أَخا شجنٍ بالنوح أَو بغناءِ

فَقَد أَرّقتني مِن هديلك دنسة   تُهيّجُ مِن شُوقي وَمِن بُرَحائي

لعلّك مِثلي يا حميم فَإِنّني غَريب   بداءٍ قد بليتُ بداءِ

فَكَم مِن فلاةٍ بين داءٍ وسبتةٍ   وَفرق بعيد الخافقين قواءِ

تصفّق فيهِ للرّياح خَوافق   كَما ضعضعتني زَفرة الصعداءِ

يذكّرني سحّ الحياهِ بأَرضها   دموعاً أُريقت يومَ بنت ورائي

وَيُعجبني في سَهلِها وحزونِها   خَمائل أَشجارٍ ترفّ لرائي

لعلّ الّذي كانَ التفرّق حكمه   سَيَجمَع منّا الشمل بعد تناءِ

وقال رحمه الله

أَقول وَقَد جد ارتحالي وَغرّدت حداتي وَزمّت للفراق كتائبي

وَقَد غمضت مِن كثرةِ الدمعِ مُقلتي وَصارت هواء من فؤادي ترائبي

وَلَم يَبقَ إِلّا وَقفة يستحقّها وَداعيَ للأَحباب لا للحَبائبِ

رَعى اللَهَ جيراناً بقرطبة العلى وَسَقى رباها بالعهاد السواكبِ

وَحيّا زَماناً بينهم قد أَلفته طَليق المحيّا مستلان الجوانبِ

إِخواننا باللَهَ فيها تَذكّروا مَعاهدَ جار أَو مودّة صاحبِ

غَدوت بهم من برّهِم وَاِحتِفائهم كَأَنّيَ في أَهلي وَبين أَقاربي

وقال رحمه الله

ولله قوم كلما جئت زائرا   وجدت نفوسا كلها ملئت حلما

إذا اجتمعو جاؤوا بكل فضيلة   ويزداد بعض القوم من بعضهم علما

أولئك مثل الطبيب، كل له شذا   ومجموعه يزداد أرجا إذا شما

وقال رحمه الله

رب ورقاء هتوف في الضحى ذات شجو صدحت في فنن

فبكائي ربما أرقها وبكاها ربما أرقني

ولقد تشكو فما أفهمها ولقد أشكو فما تفهمني

غير أني بالجوى أعرفها وهي أيضا بالجوى تعرفني

وقال رحمه الله:

إن لله عبادا فطنا   طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

فكروا فيها فلما علموا   أنها ليست لحي وطنا

جعلوها لجة واتخذوا   صالح الاعمال فيها سفنا

قصيدة القاضي عياض في شروط الإمام

ياذا الذي يطلب شروط إمامه فاتي يا الذي فخذها وافهم

هي حرف لارضا مالك مالك شيخ العراق وشيخ مكة واليمن

هي خير من ذكر جمال عسجد وجواهر تغنيك عن آخر الزمن

ذكر واسلام بلوغ عاقل وفقيه مقرئ وسالم في البدن

ذو قوة وفصاحة بلسان وبجمعة حر مقيم في الوطن

خذها شروط إمامة عشرتن والجاهلون كمثل عباد الوثن

والمستحب يكون أفضل قومه أقرا وفقه في الورى وجه حسن

والخلق أيضا سالم الاعضا قل حرا وسنا ثوبه ما نتن

والعاشر القنوت المليح تكمله حقا صفات إمامكم ياذا الفطن

والعشرة التي ترى مكرهة عجمي لفظ ألثغ قل الملكن

خصي وعبد ثم أعرابي وق الزنا ومن تراه انخلت

قل اقطع أيضا ومبتل انشر مكمله بنظم اللجين

من ام لم يدري ام يجهد ...

وقال القاضي عياض رحمه الله في من انتسب إلى غير أبيه فالجنة عليه حرام

القول فيما جاء في من انتسب لآل بيت المصطفى وقد كذب

يطرح في السجن لدى الإمام أو من ينوب عنه في الأحكام

لأنه قد قصد الإهانة لآل بيت خص بالصيانة

وليس قصده ارتفاع نفسه بل فتح الباب لغير أهله

إذ جعل الرخصة فيه مطلقا لكل داخل سوى من اتقى

ولا يكون ذاك في المعهود إلا في ذي عرق من اليهود

أو في ذي نسبة من العبيد عند ذوي التجريب حقا فاستفد

فلعنة الإله والملائكة والناس أجمعين دهرا سلكه

فهذا ما نظمه الإمام عياض ابن موسى والسلام

المصادر:

ديوان القاضي عياض: تحقيق محمد عيناق ط.

التشوف الى رجال التصوف للزيات ط.

قصيدة القاضي عياض في شروط الإمام: مخطوطة مكتبة الملك سعود المملكة العربية السعودية (منشور إلكترونياً)

مصابيح البشرية في ابناء خير البرية: احمد الشباني الادريسي ط 1987

أسماءُ سورِ القرآنِ الكريمِ نَظماً ونثراً للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبيّ المالكيّ ت 544هـ: تحقيق وتعليق & د.أحمد قاسم كسار (منشور إلكترونياً)